

الفصل التاسع عشر

[ذكريات]

عندما أتى وليد في الليلة التي تليها، بعد أن أفلت من شكوكهم بالكاد كما أخبرنا، عرض اصطحاب أمجد لرؤية جهاز الجاذبية الذي كان على شيء من المبعدة، فأصررت على القدوم معهما.. لقد أصبحت قدمي أفضل حالاً، وقد سئمت الجلوس بدون هدف أو عمل.. لم يعترض أيهما على ذلك، فانطلقنا بسرعة كي لا يتأخر وليد في العودة ويثير الشبهات باختفائه.. أكملنا سيرنا في الجبال تلك متجاوزين عدة مناطق منها بأسرع ما نستطيع.. مررنا بوديان عميقة تغطيها الأشجار بشكل تام، ورأينا كهوفاً ضخمة فاغرة فاهها بصمت تام.. لكننا لم نتوقف ونحن نجد السير عبر درب صعب وشاق..

بعد فترة من السير سألت وليد "هل يقع جهاز الجاذبية في هذه الجبال؟" أجابني "ليس تماماً.. إنه يقع خلفها، في بقعة منخفضة من الكويكب هي في الواقع أخفض بقعة فيه.. لذلك تم اختيارها لوضع الجهاز فيها" قلت بصدمة "خلف الجبال؟ إذن سنستغرق دهوراً لنتجاوزها..". قال وليد "ليس بالضرورة.. هذه الجبال تشق الكويكب بشكل عرضي.. لذلك هي لا تمتد لمساحة كبيرة أمامنا.. سنتجاوزها بسرعة"

صمت عن التعليق وأنا أبذل جهدي لمتابعة خطواتهما السريعة.. عاد كاحلي يؤلني شيئاً ما بعد أن ضغطت عليه كثيراً في سيري.. لكن لا يحق لي التذمر وقد اخترت هذا المجهود بنفسني بل وأصررت عليه..

بعد مرور وقت طويل، توقف وليد عن السير قائلاً "لنأخذ قسطاً من الراحة.. مازال الدرب طويلاً أمامنا"

لم نعترض على ذلك وكل منا يجلس جانباً ويتناول حاوية مياه ليشرّب جرعات منها بلهفة.. ثم سأل أمجد "كيف يصلون لموقع الجهاز؟ هل هناك طريق ممهد تسلكه المركبات؟" هز وليد رأسه نفيّاً وقال "بل يستخدمون المروحية.. هي الأسهل في عبور هذه الجبال واختصار هذه المسافة الطويلة إليه"

سألت أمجد بدوري "لم يتوجب علينا الذهاب حتى موقع الجهاز ذاته؟ لم لا ننتظر قدوم المروحية في موقع قريب من هنا؟ ثم كيف سنجبر المروحية على الهبوط؟"

أجاب أمجد "لا يمكن.. خطتي تستدعي استخدام جهاز الاتصال الخاص بالحراس.. ويستطيع قائد الحراس أن يعرف موقع الجهاز الذي جرى منه الاتصال كما أخبرني وليد.. لا نريد ما يثير الشبهات في خطتنا"

عدت أسأله "والمروحية؟ كيف يمكننا إجبار المروحية على الهبوط دون أن نؤذي من فيها بما فيهم عمك؟"

أجابني باقتضاب "سنرى ذلك.."

نظرت له بتعجب.. فقد كان من المستحيل بالنسبة لنا التغلب على هذه النقطة.. لا نملك أي إمكانيات تمكننا من ذلك، والجهاز ولاشك يملك حراسة قوية لن نستطيع تجاوزها بعد وصول تلك المروحية.. فما العمل في هذا الأمر؟..

سمعت وليد يحثنا على النهوض، فنهضت بشيء من العسر لألحق بهما وقد تيبس كاحلي بعد الراحة فأصبح يؤلني أكثر عند ضغطي عليه.. اقترب أمجد مني متسائلاً "هل أنت بخير؟ ألا يؤلك كاحلك؟" قلت كاذبة "لا.. لا تقلق.."

ظل ينظر لي بنظرات اتهام، فلففت وجهي بعيداً وأنا أغغم "لا تقلق.. لا يؤلني إلا بشيء قليل.. يمكنني التحمل بعد"

فقال "أخبريني متى صرت غير قادرة على الاستمرار.. لا تضغطي على نفسك أكثر من اللازم" وابتعد عني لاحقاً بوليد.. فزفرت وأنا أجهد نفسي للحاق بهما.. كانت الجبال أمامنا مترامية الأطراف، وعجبت من ثقة وليد بأننا سنجتازها بسرعة.. لكن عندما فعلنا، وقفت على حافة الجبل الأخير أنظر لما أمامي بدهشة.. رأيت خلف سلسلة الجبال تلك مساحات ومساحات شاسعة خضراء تغطيها طبقة كثيفة من العشب.. بدت تتراعى على مد البصر دون نهاية.. وفي وسطها، على مسافة من الجبال، رأينا تلك البقعة التي بدت في أخفض بقعة من المكان.. وفي حفرة واسعة ذات قطر لا يقل عن ٢٠٠ متر ربض ما بدا كصندوق فضي كبير الحجم.. ومنه خرج عمود يرتفع لمسافة عالية فوقه.. كان الجهاز يبدو من هذا المكان على شيء من الضخامة، فكيف يبدو من موقع قريب منه؟.. ويحيط بهذه الحفرة الواسعة سور حجري عالٍ ذو بوابة معدنية ضخمة.. لم نتمكن من رؤية الكثير من التفاصيل الدقيقة ووليد يقول "غير مسموح بالاقتراب من هذا الجهاز إلا لعدد محدود من الحراس الذين يحظون بثقة المؤسسة.. وهم ملتزمون بارتداء رداء خاص إذ يبدو أن البقاء طويلاً قرب الجهاز له مضاره.."

تساءل أمجد "أين تهبط المروحية القادمة من الإدارة؟"

قال وليد "في أي بقعة قرب السور.. إذ لا مكان لها داخله.. وطبعاً السور مزود بالعديد من أجهزة المراقبة التي تعمل باستمرار.."

ظل أمجد يتفحص المنطقة بتمعن ويلقي بأسئلته على وليد، بينما جلست في جانب المكان بإنهاك محاولة إراحة قدمي المصابة.. وبعد فترة قصيرة تنصلّ وليد من أمجد وأسرع يغادر عائداً للجانب الآخر من الجبال، بينما بقيت مع أمجد وأنا أتساءل "أتظن من السهل علينا تنفيذ خطتنا في هذا المكان؟ لا نريد أن نكرر فشلنا مرة أخرى" غمغم أمجد "طبعاً أدرك هذا.. لكن لنأمل خيراً.." كانت هذه إجابة مبهمة، لكنني لم أتساءل عن مغزاها وأنا أزفر متطلعة لما حولي بصمت..

كان النهار قد طلع عندما نجحت بالعودة لمخبئنا بإنهاك شديد وقد تركت أمجد خلفي.. ومع أول شعاع للشمس، استطعت أن أرى بسمه وأدهم جالسين قرب المدخل يتحدثان ويراقبان الموقع حولهما، ربما بحثاً عنا.. فزفرت وأنا أتقدم وأعضائي تتوق لراحة عميقة بعد كل ذلك المجهود الذي بذلته.. تناهى لسمعي صوت أدهم وهو يسأل بسمه "هل استعدت شيئاً من ذكرياتك؟" قالت بحيرة وهي تفرك يديها بقلق "لا شيء عدا عن اللقطات المبهمة السابقة.. يبدو أن وليد خدعنا بذلك الدواء.."

نظر لها أدهم بشيء من التردد، ثم تنحج قليلاً وقال بصوت خافت "بسمه.. أعلم أن موقفنا لا يدع مجالاً لما أريد قوله بحال.. أعلم أنني أحمق.. لكنني....."

تردد قليلاً وهي تنظر له باستفهام لم يخلُ من توجس، بينما توقفت أنا قبل أن أبدو لهما من بين الصخور المحيطة بالمخبأ.. بدا أنه ينوي قول شيء مهم، ولم أرغب بإفساد تلك اللحظة عليه.. لذلك فقد جلست خلف إحدى الصخور مستندة بظهري عليها لأمنحه حرية أكثر في الحديث.. وسمعته يقول دون أن أرى نظراته المترددة لها "أعلم أنك لا تشعرين بالراحة لوجودك معي، لكن أتمنى أن أستطيع أن أزيل ذلك بأي طريقة كانت.. أنا مهتم بك، ولا أريد أن يسبب وجودي لك الضيق بأي شكل.."

أبعدت بسمه بصرها عنه وقالت بارتباك "لا تقلق.. لست تسبب لي أي ضيق" ظل ينظر لها بصمت، ثم قال "وماذا بعد ذلك؟ أنت ولابد مدركة مقدار اهتمامي بك.. فهل يمكنني أن أمل بأن يلقي هذا صدىً عندك؟"

تعجبت من جرأة أدهم على قول ذلك، فنظرت من خلف الصخرة لأرى رد فعل بسمه.. بدت مرتبكة وارتجافة واضحة تغزو جسدها وهي تنظر له بعينان متسعتان، ثم همست برجاء "ابتعد عني أرجوك.."

صدم أدهم لقولها الذي لا معنى له، ثم سألها بشيء من الضيق "ما معنى هذا؟"
 اغرورقت عيناها بالدموع كعادتها دائماً، مما جعلني بحيرة من قدرتها على البكاء باستمرار دون
 ملل، بل ومن قدرة أدهم على الإعجاب بها وهي على هذه الحال.. لكني أحياناً أظنه يحب ضعفها
 واعتمادها الدائم عليه.. يحب ما تمنحه إياه من إحساس بالقوة وبأن مصيرها بين يديه..
 خففت بسمه عينيها وهي تهمس بصوت مرتجف "أنت.. أنت فقط.. تخيفني كثيراً.. تخيفني بأكثر مما
 قد تتصور.."

تبدى الضيق على وجه أدهم لقولها، وظل صامتاً والحيرة تظله، فأطرقت وهي تكرر بصوت أعلى
 وبتهديج واضح "أنا أخشاك كثيراً.. أدرك أنك ستحميني دائماً.. وأدرك أنك شخص طيب كثيراً..
 لكني.. لا أستطيع.."

اقترب أدهم وركع قربها هامساً "أنا لا يمكن أن أؤذي.. هذا مستحيل.. فمم تخافين؟ ألا تثقين بي؟"
 دفنت بسمه وجهها بين يديها وكأنها تحاول الاختباء منه، وهمست بضعف "لا أستطيع.. لا أستطيع..
 ابتعد عني أرجوك.."

أطرق أدهم والمرارة تبدو واضحة على وجهه.. لو تراه بسمه الآن والألم يغزو وجهه، لما كانت قاسية
 معه لهذه الدرجة.. ما الذي تريده هذه الحمقاء حقاً؟..

وقف أدهم فجأة وهو يتمتم بشيء لم أسمع.. فرفعت بسمه رأسها إليه على الفور قائلة من بين
 دموعها "أرجوك.. لا تكرهني.."

صمت أدهم تماماً وهو يرميها بنظرة مريرة، ثم ابتعد في الاتجاه الآخر مغادراً الموقع وهي تنظر له
 بياس..

زفرت وأنا أسند رأسي للصخرة من جديد دون أن أحاول التدخل.. لو تدخلت، فلربما أذيت بسمه
 بكلمة فيتوتر الجو أكثر مما هو عليه الآن.. فما تفعله أكثر مما أطيق.. ولو كان الأمر بيدي لجعلت أدهم
 ينساها تماماً.. لكني أدرك أن هذا مستحيل في الواقع.. ليس الحب مما يمكن إزالته بإرادة
 الشخص..

قطبت وأنا أنتبه فجأة.. هناك شيء يطرق ذاكرتي.. شعرت بومضة مؤلمة تتردد في عقلي، فأمسكت
 رأسي وأنا أكف عن مقاومتها كعادتي.. أريد أن أعرف.. أريد أن أستعيد كل شيء.. أريد الحقيقة..

"أرجوك.. لا تتركني.. لا تتخل عني.."

لكن ذلك الشخص لم يلتفت تجاهي وهو مستمر في سيره، فتمسكت بيده وأنا أصبح "أرجوك.. أنا أحبك حقاً.. لا تفعل هذا بي"

لم يلتفت تجاهي أيضاً وإنما جذب يده بقوة وهو يقول بصوت قاسٍ "لا أحب الفتاة الضعيفة مثلك.. أنت ضعيفة وخانعة.. بيدك أمري كله، لكنك تتخلين عني خوفاً على منصبك التافه.. لقد خيبت ظني بك"

هتفت من بين دموعي "لكن ما تطلبه مستحيل.. أرجوك.. لأبد من وسيلة أخرى" فقال بجفاء ملحوظ "إذن لا فائدة من وجودك في حياتي.. ذاك كان الشيء الوحيد الذي أردته منك، وما دمت ترفضينه، فأنت لا أهمية لك عندي"

اتسعت عيناى بغير تصديق وهمست بصوت مرتجف "أتعني ذلك حقاً؟.. لكن.. أنا...." لكنه لم يستدر أيضاً وهو يبتعد عني بسرعة.. فانهرت أرضاً وأنا أبكي قائلة من بين نشيجي "أنا أحبك.. لا تتخل عني.. أرجوك.."

فتحت عيني وأنا مصدومة.. لم أتعرف الشخص الذي بدا لي في ذاكرتي ولم أتمكن من رؤية وجهه، أهو ذات الشخص الذي دارت حوله ذكرياتي سابقاً.. لقد صدمت مما فعلته أنا.. أهكذا كنت؟ أهكذا تصرفت إزاء شخص نبذني لسبب لا أعلمه؟.. لكن هل كنت أستحق ذلك؟.. عضضت شفتي وأنا غارقة في أفكارى.. أحاول البحث عن ذكريات تفسر لي ما رأيته.. لكنني عجزت عن ذلك تماماً..

كرهت نفسي أكثر مما أكرهها فعلاً.. لهذا السبب كرهت أن أبدي الضعف في شخصيتي.. لأبد أنه رد فعل لما حدث في تلك اللحظة.. أغمضت عيني وأنا أستسلم لتعبي المتزايد، وكدت أغرق في نوم عميق بالفعل لولا صوت أمجد الذي قال "حمراء؟ ما الذي تفعلينه بعيداً عن المخبأ؟" فتحت عيني بتعب وغمغمت "لا شيء.. لم يعد لدي طاقة للسير بعد"

فقال وهو يجذبني لأنهد "لنعد.. هذا المكان مكشوف أكثر مما نبغي.. والمخبأ قريب جداً" لكنني لم أفعل وأنا أعود لإغماض عيني قائلة "أتركني.. سأرتاح قليلاً ثم أعود للداخل.. الصخور محيطة بي ولا يمكن رؤيتي من بعيد"

لم يعلق بكلمة وإن شعرت به يجلس بدوره قريباً، فقلت مقطبة وأنا أنظر إليه "قلت لك سأعود.. لم لا تتركني قليلاً؟"

قال بهدوء "لأنني قلق عليك.. سأبقى ما دمت باقية هنا"
 لم أعلق وأنا أدير وجهي جانباً وأغمض عيني.. لم أكن أرغب بالعودة للمخبأ الآن ورؤية بسمه.. شعرت
 أنني أكرهها، ورغبت بتجاوز هذه المشاعر قبل أن أواجهها.. لا يحق لي هذا الغضب الذي أصبه
 عليها مهما كنت أهتم بأمر أدهم.. هي حرة بقبول من تريد ورفض من تريد.. لكنني حانقة عليها لأنها
 تصده وفي الآن ذاته لا تتوانى عن استغلال حمايته ورعايته.. وهذا أكثر ما يغيظني منها..

"أرجوك.. لا تفعل هذا.."
 لوّحت بالسكين الضخمة في يدها الصغيرة وهي ترفعها أمام وجهها الغارق بالدموع بتحذير لم يبدُ ذا
 فائدة تذكر.. فيما قال الرجل الضخم بابتسامة ساخرة "لا داعي لهذه الألعاب البلهاء.. أنت لا يمكنك
 إيذاء ذبابة، فهل تظنين أنني سأخشاك بهذه الطريقة؟"
 تراجعت بقلق وهي تهتف "لكنني سأفعل.. لو فكرت بلمسي سأفعل ما هو أكثر.."
 اقترب منها خطوة والسخرية تنضح من ملامحه، فهتفت بذعر "لا تقترب مني.."
 ولوّحت بالسكين من جديد، لكنه أمسك يدها بقوة وهو يمد يده بغية انتزاع السكين منها مغمماً
 بسخرية وعيناه تلتمعان شغفاً "ألا تعلمين أنك تحفزيني أكثر على الاستمرار؟ لا يمكن أن أراجع
 الآن أبداً.."

أثارت نظراته رجفة قوية في أعماقها وهلعاً دفعها لتصرخ "لاااااا.."
 لم تعرف من أين أتت بتلك القوة التي جعلتها تتحرر من قبضته وهي تلوح بالسكين بقوة مغمضة
 عينيها.. وشعرت بأن السكين قد انغرزت بقوة في شيء ما تلاها شهقة خافتة.. فتحت عينيها فوجدت
 أنها قد ضربته في صدره وأصابته بجرح شبه عميق، لكنه لم يتأثر ووجهه يتقلص بغضب ممزوج بألم
 ويتقدم نحوها مزجراً "أيتها الحقيرة.."

صرخت من جديد بفزع غير متعقل وهي تدفع السكين في صدره بقوة والدماء تندفع من صدره
 بغزارة.. دفعت السكين مرة ومرة ومرات والدموع تغشي عينيها فلا تكاد ترى ما تفعله.. والذعر المهول
 يحرك يديها بدون وعي من عقلها..
 لم تستوعب ما فعلته حتى شعرت بالارتطام الذي أصدر صوتاً مدوياً على الأرض الصماء.. فنظرت
 بشيء من الدهول وهي تمسح الدموع من عينيها لتمنح نفسها رؤية أفضل..
 وراعاها ما رآته.. الدماء تغرق الجسد الهامد الملقى أمامها.. بجراح عديدة تنزف بلا انقطاع..

والدماء ذاتها تلتخ الأرضية تحته بلون صارخ..
والدماء ذاتها تلتصق على السكين في يدها وتغمر يدها لتسيل بصمت على ثيابها..
بدأت تنهه باكية ثم غرقت في النشيج وهي فزعة حتى من فتح عينيها..
تهاوت أرضاً ولم تجرؤ على الحركة أو الابتعاد عن المنظر البشع أمامها..
بكت وبكت وهي لا تعرف مصيرها بعد كل تلك الأحداث التي هي موقنة أنها لن تغادر ذاكرتها أبداً
ما بقيت حية..

بعد أن ارتفعت الشمس في السماء وشعرت أن أعصابي قد هدأت قليلاً، نهضت بشيء من العسر
وأُمد الذي ظل قربي صامتاً ينهض بدوره عارضاً عليّ مساعدته.. لكنني لم أسمح له بمساعدتي
على السير وأنا أجرج قدمي جراً وهي تصرخ مطالبة بالراحة التي لم تنل منها إلا القليل.. ولما اقتربنا
من المخبأ لاحظت أن بسمة أيضاً ليست موجودة عند مدخله.. ولم نكد نتجاوز المدخل حتى تناهى
لسمعنا صوت بكاءها.. فأسرعنا من خطونا لنراها منطوية على نفسها تبكي بحرقة أدهشتنا.. تبادلنا
النظرات المتعجبة للحظات ثم تنهدت قليلاً وأنا أجلس قربها ولمست كتفها متسائلة بلوم لم أملكه “لم
البكاء الآن؟ هل تبكين على ما ضيعته يا بسمة؟”
نظر أُمجد لي بتعجب دون أن يفهم مغزى جملتي، بينما رفعت بسمة وجهها المبلل بالدموع وهي تهتف
بصوت متهدج “لقد تذكرت كل شيء يا حمراء.. تذكرت ماضي كله.. وليتني لم أذكر ذلك أبداً”
نظرنا لها بدهشة، فعادت ترمي وجهها على ذراعيها وهي تبكي من جديد قائلة “تذكرت السبب الذي
جاء بي إلى هنا.. أنا قاتلة.. قاتلة..”
تحولت دهشتي لصدمة وأنا أستمع إليها، والتفت لأُمجد لأرى صدمة مماثلة على وجهه، فقلت وأنا أهز
بسمة “هل أنت واثقة من هذا؟ ألم يلتبس عليك الأمر؟”
هزت رأسها نفيًا وهي تقول بئس “لا يمكن.. أنا قتلته بيدي هاتين.. طعنته بسكين في صدره، بل
طعنته عدة مرات حتى سقط ميتاً أمامي.. أذكر كل هذا بوضوح، ولا يمكن أن يلتبس عليّ الأمر..”
سألها أُمجد بدهشة “لماذا؟ ومن يكون هو؟”
خفضت بصرها قليلاً باضطراب واضح، ثم رفعت خصلات شعرها عن وجهها بيد مرتجفة وهي تقول
“كان أحد الرؤساء في العمل.. هو من قام بتوظيفي رغم عدم امتلاكي لمؤهلات جيدة، وكوني من بيئة
فقيرة.. شكرت له ذلك كثيراً، وكنت أحاول أن أرد له الجميل بأي طريقة.. لكن..”

تهدج صوتها من جديد وهي تكمل "لم أظن أنه أعجب بملامحي فقط، وكان مقصده النيل مني.. حاول استمالي بأي طريقة.. بالنقود، بالعلوات، بالهدايا.. لكنني رفضت وتجاهلت تلميحاته المستمرة.. حتى ادعى في يوم أنني سأذهب معه في موعد مهم كوني أعمل سكرتيرة له.. لم أشك بالأمر، ولم أظن أنه سيقدم على ما فعله.."

ودفنت وجهها بين ذراعيها من جديد وهي تقول باكية "اختطفني رغماً عني.. أخذني لمنزله الريفى، وحاول النيل مني بأي طريقة.. كان المكان منعزلاً، ولم أجد أحداً أستنجد به.. كان ضخم الجسد وقوياً، يفوقني قوة بمئات المرات، ولم يكن لي من مهرب.. لذلك.... لذلك لم أجد بداً من الدفاع عن نفسي.. كنت أريد جرحه فقط.. لكنني قتلته دون أن أدرك ذلك لشدة ذعري.. طعنته عدة مرات بسكين حصلت عليها من مطبخه، ولم أنتبه إلا وأنا أراه جثة هامدة على الأرض.. لم أستطع الهرب بعدها لشدة ذهولي، حتى عندما اكتشف أحد رجاله جثته، حتى عندما وصلت الشرطة وقبضت عليّ.. عندها أجروا لي محاكمة سريعة وحكموا عليّ بالإعدام، ولم يأخذوا بعين الاعتبار كوني كنت أدافع عن نفسي.. اتهموني بأني ذهبت معه بإرادتي.."

وبكت بحرقة بعد أن نقلت صدمتها إلينا، فعلقْتُ قائلة "وطبعاً عرضت عليك المؤسسة تخفيف حكم الإعدام بالقدوم والعمل هنا.. أليس كذلك؟"

هزت رأسها إيجاباً، ثم رفعت رأسها بعد أن تماكنت نفسها وقالت بصوت مرتجف "ليس لي الحق بالهرب.. أنا قاتلة، ويجب أن أقضي عقوبتي بصمت وإلا كان الإعدام جزائي.."

قلت مقطبة "من قال ذلك؟ أنت كنت تدافعين عن نفسك.. من قال إن من يدافع عن نفسه يجب إعدامه؟ هذا حكم ظالم.. وأظن أن يداً تدخلت في الأمر لكي لا تحصيلي على حكم مخفف.."

تساءلت بسمة بدهشة من بين دموعها "ماذا تعنين؟ من له مصلحة في ذلك؟"

أجاب أمجد عني "لن أندش لو كانت المؤسسة قد رشت بعض القضاة لإصدار مثل هذه الأحكام.. لا تنسي أنها غير مخولة بإحضار أي عمالة إلا السجناء المحكوم عليهم بالإعدام أو السجن المؤبد.. وهذه المناجم تستهلك الكثير الكثير من الأيدي العاملة كما رأيت"

مسحت بسمة دموعها بيد مرتجفة وهي تغغم "كنت دوماً أخشى الرجال من حولي منذ استيقظنا، وخصوصاً أدهم بضخامته المرعبة.. ولم أعلم لماذا.. أدركت الآن أن لذلك علاقة بتلك الحادثة" ربتُ على كتفها معلقة "لا يمكنني لومك على ذلك الآن.. ما مررت به كان قاسياً عليك بما فيه الكفاية.."

زفر أمجد وهو يبتعد وقد بدا ضيق على وجهه ولا ألومه على ذلك.. بينما خفضت بسمة عينيها مغممة "أظنن أنه قد يسامحني في يوم ما؟"

ابتسمت قائلة "إن كنت تعنين أدهم فأنا متأكدة أنه قد سامحك بالفعل.. ثقي بهذا"
مسحت بسمه دموعها التي تساقطت من جديد، فضممتها ومسحت على شعرها لتهدأ نفسها..
المسكينة عاشت أيامها هنا مذعورة بشكل دائم بسبب حادثة واحدة.. فكيف أستطيع لومها على أي شيء الآن؟..

بعد مضي وقت طويل رأينا أدهم يقترب من المدخل، فقال أمجد فور رؤيته له "أين كنت يا أدهم؟ ما الذي جعلك تغادر المخبأ وتترك بسمه فيه وحيدة؟"

غمغم أدهم بهدوء "كنت أراقب الموقع حول المخبأ.. ماذا فعلتم أنتم؟"
أوجز له أمجد كل ما حدث منذ غادرنا المخبأ، بينما تأملت وجهه بشيء من القلق بحثاً عن أي ضيق أو حزن قد يبدو عليه.. لكنني دهشت لما رأيته على وجهه.. لم أر أي أثر لحزن أو كآبة.. لا أثر لمرارة أو أي انفعالات مما رأيته قبل ساعات عندما ترك بسمه وغادر لمكان لا نعلمه.. لاحظت أن بسمه تنظر لأدهم أيضاً بشيء من القلق.. فابتسمت لاهتمامها به رغم خوفها الدائم منه..
بعد انتهاء حوارهما، انتبه أدهم لوجه بسمه الغارق في الدموع.. ظننته سيتجاهلها ويعرض عنها، لكنه على العكس اقترب منا وهو يتأمل عيناها المنتفختان من البكاء وتساءل بقلق "ما الأمر؟ هل حدث شيء؟"

خفضت بسمه رأسها ولم تنظر له وهي صامتة، فقلت مبتسمة "لا داعي للقلق.. لقد استعادت ذكرياتها، وكانت صدمة كبيرة لها..
فقال أدهم لبسمه بقلق "هل أنت بخير؟"
هزت رأسها إيجاباً دون أن تنبس بكلمة أو ترفع بصرها إليه، فقال بعد لحظة صمت "إن كنت كذلك فهذا جيد.."

وابتعد عنا ليجلس قرب المدخل بصمت.. لاحظت في تلك اللحظة تعابير بسمه الحزينة وشففتها ترتجفان وكأنها على وشك البكاء من جديد، فسألته مقطبة "ماذا جرى لك بعد؟"
قالت بهمس وهي تخفض وجهها أكثر "أدهم طيب جداً.. لم أظنه سيغفر لي صدي له والكلمات الجارحة التي ألقيتها في وجهه.. لكنني لا أستطيع تمالك خوفي كلما رأيته.. ليتني كنت فتاة طبيعية.. عندها ربما...."

ربت على كتفها وأنا أقول "لا داعي للوم نفسك أكثر من هذا يا بسمه.. لا يد لك في ما جرى، ولا يمكنك أن تجبري نفسك على ما لا تطيقينه.."

سمعتها تغمغم دون أن ترفع رأسها "مها.. اسمي مها"
نظرت لها معلقة بابتسامة "لا يشبه اسم بسمه بأي حال.. أفضلين أن أناذك به؟"

انتفضت بسمة وهي تقول "لا.. أرجوك، أفضل اسم بسمة.. ذاك الاسم يثير رجفة في أوصالي إذ
لظالما سمعته يناديني به.. وأريد أن أنساه مع كل تلك الذكرى البشعة"
فهمت أنها تقصد ذلك الرجل الذي قتلته، فلم أعلق ونحن نجلس بصمت تام.. الحسنة الوحيدة التي
سببتها لي بسمة بذكرياتها البشعة، أنها أزاحت من عقلي تلك الذكرى الأخيرة.. لم تكن بسوء ذكرى
بسمة، لكنها سببت لي صدمة كبيرة وضيقاً شديداً أنا في غنى عنه الآن..
